التقييد بالمعلوم في القرآن الكريم ـ دراسة نحوية دلالية نصيّة ـ

م.د. عباس إسماعيل سيلان الغراوي
كلية التربية الاساسية/ جامعة ميسان

المقدمـــة

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى ﴾ [النمل : ٥٩]. وبعد ... إنّ القرآنَ مائدةٌ حملتْ كلَّ ألوان الحياة الجميلة ، بما في ذلك آنية العلوم، فما برح كلَّ يومٍ يأتينا منه بالجديد، ويفاجئنا بسبقِ الأحداث، وكونه المعجزةَ الخالدةَ التي مثّلت هديةَ اللهِ المباركةَ إلى الأرض ، فلا بُدّ منْ أنْ تسعى الأقلامُ في خدمته، وتجدَّ الخُطى للكشف عن أسراره، ومن هذه الدّراساتِ التي يمكنها أنْ تقدِّمَ خدمة للقرآن (التّقييد بالمعلوم في القرآن الكريم ــ دراسة نحويّة دلاليّة نصيةــ)، وقد كنتُ درست في مرحلة سابقة التقييد في نهج البلاغة، وبعد مرور السنين لحظت أنّ من التقييد ما يكون بالمعلوم، وخصوصًا في القرآن الكريم، فعمدت إلى هذه الدراسة، التي آمل أنْ تكون مرآةً تعكس ذلك الموضوعَ القيّم ، وقد حثني على هذا الموضوع أسباب كُثْر : أبرزها أنّ الأضواء لم تُسلَّط على هذه الظاهرة ، بل كانت تصب في مجال التقييد بغير المعلوم ، ومع أنّ التفاسير في الأغلب قد اشارت الى تلك الظاهرة إلا أنّها قد فسّرت خطأ في كثير من المواضع أو أنه قصّرَ في تبيينها ولا سيما في تفسير البحر المحيط والسبب أن التفاسير تناولتها بصرف النظر عن سائر النص وهذا يعطي أحكامًا ناقصة أو مباينة للصواب، وفائدة أخرى أنّ هذه الظّاهرة ترينا إعجاز القرآن حتّى فيما ظهَرَ معلومًا للعيان . وأرى أنّ التّقييد بالمعلوم عند السّامع أصعب منَ التّقييد بالمجهول كون الأخير مفهوم الدلالة ، فضلًا عن أنّه أخذ حظًّا لا بأس به من الدّراسة ، أمّا الأول فكثيرًا ما نمرّ عليه مُرورًا سريعًا، ولا يَتَأتّى استكناه سرّه بسهولة ، بل حتى أنّ أغلب المفسرين لا يلتفت إليه اتّكالًا على أنّه متيسّر للقارئ، أو أنّهم اختصروا القول فيه ، فدار كلامهم على أنّه للتّوكيد أو المبالغة أو لرفع المجاز من دون أنْ يكونَ هناك بيانٌ وافٍ لتلك الغايات.

وقد قُسّم البحث على ثلاثة مباحث وخاتمة بيَّنتْ أهمّ ما توصَّلَ إليه البحثُ... ، وقد بيّن المبحث الأول منه معنى التقييد بالمعلوم من أجل توضيح الفكرة للقارئ ولكنه لم يتعرض لمفهوم القيد ؛ لأنّه كان قد تعرّض له في دراسة الماجستير ، ثم عرّجَ على جذور المصطلح في التُّراث ، وختم بمشروعية التّقييد بالمعلوم ؛ إذ قد يتبادر السّؤال : مَن الذي حكم بأنّه معلوم؟ فهل هناك قواعد أو دلائل يستند إليها ؟ وبعد ذلك جاء المبحث الثّاني الذي صبّ في بيان أنماط التّقييد بالمعلوم مع بيان الدّلالة فشملت : المفرد وشبه الجملة ثم الجملة...، وأخيرًا خُتِم بالمبحث الثّالث الذي كان دراسةً نقديّةً لدراسة هذا الفنّ عند المفسِّرين ، وقد استند البحث في هذا المبحث إلى الطريقة النصية باعتماد النّصّ القرآنيّ نصًّا واحدًا يفسِّر بعضه بعضًا ، فكان أن جنى ثماره بالكشف عن طائفة من الأمور التي فيها نظر ... وإذا كانت المقولة المنطقيّة تقول توضيح الواضحات من أشكل المُشكلات فإنّها في القرآن تكون من أجمل البلاغات ، ومن هنا صعُبَ علينا الاستشهاد على كلِّ ما ورد في هذا الموضوع وتحليله لضيق المقام ، فاكتفينا بطائفة من الأمثلة ، وأحلْنا في الهامش على ما تبقّى من مواضع للتّقييد بالمعلوم ؛ إذ يمكن أنْ تكون هذه الطريقة دليلًا على ما لم يُذكر ، وختامًا أتأمل أنْ يكونَ هذا العمل خطوةً في سبيل الوصول إلى طريق الذين ﴿ آخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [يونس : ١٠] .

المبحث الأوّل : التّعريف بـ(التّقييد بالمعلوم)

رُبَّما يلقانا في دراسة المُصطلحاتِ إشكاليّةٌ ليستْ باليسيرة ، تتمثلُ بالتّرادف بين المُصطلح والآخر، وغياب التّحديد الدّقيق لكثير منها ... ومن الّذي يحتمل غموضه ــ مفهومًا ــ ما اصطلْحنا عليه بـ(التّقييد بالمعلوم)، فقد ورَدَ في التّراث باصطلاحات هي

في صُلْبِ وظيفتهِ الدَّلاليّة ، ولبيان هذه الاصطلاحات مهّدنا لها بمعنى التقييد بالمعلوم، وهذا يجرنا إلى معرفة المُقارب للتّقييد بالمعلوم في التُّراث ...

مفهوم التّقييد بالمعلوم

التقييد بالمعلوم ــ بهذه الصُّورة ــ ظاهرةٌ وليس مصطلحًا ، فلم تُـذكر الكتب مصطلح (المعلوم) فضلًا عنْ أنّها لم تتناول التّقييد بالمعلوم بهذا التّركيب ، وإنّما كانت هناك إشاراتٌ ينقصها التـنظير لمصطلح موحَّد قديمًا أو حديثًا. وقد اشرْنا إلى مفهوم التـقييد في رسالة الماجستير لغَةً وخلصْنا إلى نتيجة أنّه يصبُّ في مجال تحديد شيء وتقليل شيوعه[١]، أمّا المعلوم فهو اسم مفعول من ((**عَلِمَ يَعْلَمُ عِلْمًا ، نقيض جَهِلَ . ورجل علاّمة ، وعلاّم ، وعليم ، ... وما عَلِمْتُ بخبرِكَ ، أي : ما شعَرْتُ به. وأعلمتُـهُ بكذا ، أي : أَشْعَرْتُه... والعَلَمُ : ما يُنْصَبُ في الطّريق ، ليكون علامةً يُهْتَدَى بها ، شِبْه الميل والعَلامَـة والمَعْلَم ...**))[٢] ، وعند ابن فارس (ت ٣٩٥ هـ) ((**علم: أصل صحيح واحد يدلّ على أثرٍ بالشيء يتميَّز به عن غيره من ذلك العلامـة...، وكلُّ شيءٍ يكونُ معلمًا: خلاف المَجْهَل**))[٣]. وبتأمّلِ المعاني نجد أنّ الجامع الدّلاليّ بين معاني (علم) : هو المعرفة وعدم الجهل، وبه تتحقّق الهداية، فيمكن القول: إنّ المعلوم هو أمر غير مجهول، مشعور به، مهتدًى إليه .

وتأسيسًا على هذا يكون المراد من التقييد بالمعلوم : هو تحديد شيء وتقليل شيوعه بوساطة أمر معلوم بديهيّ، وهذا الأمر نجده نفسه في الاصطلاح ، وليس هذا بغريب فكثيرًا ما نجد الاصطلاح وليدَ الأصل اللُّغويّ .

ــ التقييد بالمعلوم في التّراث: ذُكِرَ التَّقييدُ بالمعلوم ضمن مفاهيم ــ أو دلالات ــ أخرى ، قد تتداخل فيما بينَها ، ولعلّ السّبب الرّئيس أنّها خضعتْ لاجتهاداتِ العُلماء ومن جهة أخرى أنّها ممّا لم يقتصر على طائفة معيَّنة من الدّارسين ، بل اشترك بها النّحويّون والبلاغيّون وأوردها اللسانيّون ، وعلى النّحو الآتي :

١ ـ **الإطنـاب**: وهـو بسـط القـول لـ((**يـتمكّن مـن الـنّفس فضْـلَ تمكـن**))[٤] ، ومـن أمثلـتهم التـي استشـهدوا بهـا : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى ﴾ (الإسراء: ١) ، فهنا (ليلًا) مفعول فيه للزمان ، وهو معلوم للسّامع[٥] ؛ لأنّ فعلَهُ (أسرى) يدلّ على السير ليلًا .

٢ ـ **زيادة التّعميم والإحاطة** : نحو قوله تعالى : ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ طَـائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾ (الأنعام : ٣٨) ؛ إذ ((**وصف دابّة وطائر بما هو من خواصّ الجنس ؛ لبيان أنّ القصد فيهما إلى الجنس دون الفرد ، وبهذا الاعتبار أفاد هذا الوصف زيادة التعميم والإحاطة**))[٦] ، فسماع لفظ (الطائر) ــ مثلًا ــ يحتمل أنْ يكونَ طائرًا بعينه ، ويحتمل أنْ يراد به جنس الطّائر ، أي : كلّ طائر ، إلا أنّ تقييده بالمعلوم (بجناحيه) حَصَرَ المُراد بالمعنى الثّاني على النّحو مما يرى السّكاكيّ[٧] ...

٣ ـ **باب الانفصال** : وهو الذي نجده عند ابن أبي الأصبع المصريّ (ت ٦٤٥ هـ) ، ويعني: ((**أنْ يقولَ المتكلّمُ كلامًا يدخل عليه فيه دخْلٌ**[٨] **، فلا يقتصرُ عليه حتّى يأتي بما ينفصل عن ذلك ... كقوله تعالى ...** ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ طَـائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ﴾[الأنعام: ٣٨] ، **فإنّ لقائلٍ أنْ يقولَ جملة قوله (يطير بجناحيه) لا فائدة في الإتيان بها ظاهرًا ؛ إذ كلّ طائر يطير بجناحيه ، وهذا إخبار بمعلوم ، والانفصال عن ذلك أنْ يُقال : إنّه سبحانه أراد ، وهو أعلم بمراده أنْ يدمُج في هذا الخبر النّهي عن قتل الحيوان الذي لا يُؤذي عبثًا بدليل قوله تعالى (إلا أمم أمثالكم) ، ففي مساواته بين ذلك وبين المُكلّفين في قوله تعالى: (أمم أمثالكم) إشارة إلى أنّ الإنسان يُدان بما يفعله مع كل جسم قابل للحياة**))[٩] والقيد هنا لم يقتصر على شبه

الجملة (بجناحيه)، وانّما شمل الجملة (يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ) ؛ إذ انّه لا يطير الطّائر إلّا بما تتضمنه هذه الجملة ، وملخص القول هو فصل الطائر المراد عن غيره ؛ إذ رُبّما احتملَ الطائرُ الإنسانَ مثلًا كناية عن السرعة على النحو من النقطة الخامسة (الأخيرة).

أقول: أليس القرآن لكل زمان ومكان ؟ ولقد فسّر سلفُنا الماضي بما رأوهُ بأمِّ أعينهم ، ولو كانوا في عصرنا لراعوا مقتضيات العصر وهذا ما يتطلبه المنهج النصي[١٠] ، ولقالوا : إنّه قد فصَلَ الطائر الحقيقي من الطّائر المَصنوع، وأعني بذلك الطائرة والمركبات التي تعتمد على أجنحة. فالقرآن من هذه الوجهة لا يكتفي بزمن واحد، فالطائرات المصنوعة مهما كان تبقى بحاجة إلى الإنسان الذي يتحكّم بقيادتها وعليه تتوقّف في طيرانها. ولعل القرآن أراد أنْ يقول للمشركين : إنّ هذا الذي ترونه من الكائناتِ غير العاقلة من دابّة ومن طير إنّما هو أممٌ أمثالكم ، فلكل نوع أصنافه ، ولكلِّ صنف طبيعته الخاصّة في الحياة فهم طالبوا بآية وأمامهم آلاف الآيات ، ولم يفهم بعض المفسرين ذلك فحمل الأمر على المسخ ، يقول ابن عربيّ (ت ٦٣٨ هـ) بأنّ النصّ جاء ((**على المسخ، أي : أمم أمثالكم في الاحتجاب والاعتداء وارتكاب الرذائل كأصحاب السبت الذين مسخوا قردة وخنازير**))[١١] . ولكن لكي يكون كلامه صحيحًا ينبغي أنْ يصدق على الدابة والطير معًا إلا أنّهُ صرَفَ النظر عن الطّير ؛ لأنّه لم يعهد المسخ إلى طير ، وهذا يجعل رأيه مردودًا ، وهو مردودٌ أيضًا بدليل النصّ القرآنيّ ؛ لأنّهم أرادوا من النبي إنزال آية ، فكان الحديث معهم بذكر آيات الله من الدواب والطيور فكلّها دلائل ، وقد اكتشف العلم الحديث ما جاء به القرآن من علم التصنيف للحيوان وصيرورته عوائل؛ فكانت النتائج مبهرة للبشريّة ومحيّرة للعقول[١٢] ، ومجيء تلك الآية بعد ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنَزِّلَ آيَةً وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (الأنعام: ٣٧) حجّة دامغة تدلّل أنّ أمامهم من الآيات ما تنبهر به العقول من تلك الكائنات الحيّة ، وكون العرب أمّة بدويّة تنظر إلى تلك المخلوقات عن كثب كانت تلك الحجّة مناسبة للمقام فقد خاطبهم القرآن بما ألفوه، ولأنّهم يتحججون على النبي بنزول آية فقد كان تحججهم هذا فاشلًا فالآيات أمامهم تترى، فلمَ لا يؤمنون؟ لمَ هم جاهلون عنها ؟ لقد تعامل القرآن معهم وكأنّهم لا يدركون شيئًا ، فخاطبهم بدابة في الأرض وطائر يطير بجناحيه ؛ لتغافلهم عن أمور بارزة، فكان القران قد حدثهم بأمور بارزة معلومة على أنّها غير معلومة لهم، وذلك لأنهم تجلببوا رداء الجهل والتعامي.

٤ ـ **التوكيد (الزيادة في البيان)**: ويؤتى به لتوثيق الكلام ، وقد ذكروا منه ((﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ [الحج : ٤٦] ، **وقد عِلِم أنّ القلب لا يكون إلا في الصدر ، وإنّما بيّن تعالى هذا البيان على طريق التوكيد ، وذلك كما يقول القائل: رأيته بعيني وسمعته بأذني**))[١٣]، ولربّما يصحّ استبعاد إفادة التّوكيد في هذا الموضع، لأنّ التوكيد يأتي بالأمور التي يشكّ بها ، ولا يشكّ أحدٌ من وجود القلوب في الصدور، ولعلّ في معلوميّة القيد شيء آخر، وهو أنّ النّصّ سبق بـ ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ ، فهم إذ يعيشون في ضلالهم مع تلك الآيات البينات ، قد يقول بعضٌ كيف لا يدركون ذلك والآيات تترى ؟ والجواب أنّ ضلالتهم لم تطمسْ أبصارهم ، بل أعمت قلوبهم، وأخذت منهم تمركزها ، لقد نفذت إليهم مع أنّ هناك غطاء قويّ يحيط بتلك القلوب ، وهو (الصّدور) إلّا أنّها تمكّنت منهم . والصدور كلمة تشاكَلَ فيها اللفظ مع المعنى كونها قويّة صوتيًا بتألُّفها من حروف ذات قوة في الوقع على الأذن، وأعني (ص / د / ر) مع الواو المديّة التي توحي بالانبساط ، فكانت هذه اللفظة ذات قوة معنويّة كونها تحتوي الأضلاع الحامية للفؤاد ، كلّ هذا لم يقفْ حائلًا دون خطر الضّلالة، فأقبحْ بالضّلالة من داء مرير، ويشكّل القيد المعلوم (في الصدور) تجانسًا صوتيًّا مع (الأبصار) في الحرفين الصّاد والرّاء، وكلا اللفظتين سبقتا بحرف مدّ، هذا التناغم أكسب الأذن جمالًا باللفظ بقدر جمال المعنى . فكانَ القيد المذكور طريقًا للبلاغة والفصاحة معًا .

٥ ـ **المبالغة**: قد يَعي السّامع مقصدَ الكلام ؛ فيأتي التّقييد بالمعلوم لزيادة البيان وتقويته في ذهن السّامع ، وهذا ما نجده عند الفرّاء[١٤] (ت٢٠٧هـ)، وعند ابن قتيبة (ت٢٧٦ هـ)؛ فهو ((**لزيادة في البيان ، نحو قولك: (أصابنا مطرٌ منَ السّماءِ) و(طلعَ علينا نيلٌ من الأرضِ) ، قال الله تعالى :** ﴿ فخرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِم ﴾[١٥] ، **وقال:** ﴿ ولا طائِرٍ يَطِيْرُ بجناحِيْهِ ﴾[١٦] ، **وقد علم المخاطب أنّ المطر لا يكون إلا من السّماء، والنّيل من الأرض ، وأنّ السّقف لا يخرّ إلا من فوق ، والطائر لا يطير بغير جناحيه ، ولكنْ أرِيْدَ بذلك المبالغة**))[١٧]، والمبالغة من الأغراض البلاغيّة الشّائعة في كلام العرب ، فجاء القرآن بهذا الغرض لإقناع النفوس ...

٦ ــ **رفع المجاز** : ذهَبَ بعضٌ إلى أنّ تأكيد الكلام يخرج به من المجاز إلى الحقيقة ، فعندهم قد يؤكَّد الكلام لـ((**دفع المجاز عنه لكون المجاز لا يؤكَّد**))[١٨] ، وقد قال بذلك ابن قتيبة في ((**قوله سبحانه:** ﴿ يقولونَ بأفْواهِهِمْ ما ليْسَ في قُلُوبِهِمْ[١٩] ؛ **لأنّ الرجل قد يقول بالمجاز : (كلّمت فلانًا) ، وإنّما كان ذلك كتابًا أو إشارة على لسان غيره ، فأُعْلِمْنا أنّهم يقولون بألْسنتهم ، وكذلك قوله :** ﴿ يكتبونَ الكتابَ بأيدِيهم﴾ [٢٠] ؛ **لأنّ الرجل قد يكتب بالمجاز ، وغيره الكاتب عنه ، ويقول الأُمّي : (كتبتُ إليك) ، و(هذا كتابي إليك) ، وكل فعل أمرتَ به ، فأنت الفاعل له ، وإنْ وَلِيه غيرُك**))[٢١] . لكن القول بأنّ ذا لرفع المجاز يعني أنّ اللبس بالمجاز حاصل من دونه ، ولكنْ قد يردّ عليه بأنّه لا يصحّ القول: إنّ الطائر يطير بغير جناحيه .

يمكن أنْ يكون التقييد بـ (بجناحيه) لفصل الطّيران الحقيقيّ عن الذي يستعمله الإنسان للدّلالة على السّرعة[٢٢] على أنّ دلالة التّقييد بالمعلوم على رفع المجاز فيها نظر ، ولعلهم قالوا إن التوكيد يأتي لرفع المجاز لأنهم لحظوا كثرة مجيء التوكيد في باب الحقيقة ، والحقّ أنّه قد يكون ذا عائدًا إلى طبيعة الكلام ... ، فالحقيقة يلجأ قائلها إلى تأكيدها إذا تَطَلَّبَ الأمرُ . أمّا المجاز فقائله أضعفُ حجةً ؛ لذا عادة ما تجده يُرسِله من دون أنْ يؤكِّده ... ، ومن هنا رأى النحويّون أنّ من التّوكيد ما هو ((**رفع توهّم المجاز في الفعل...؛ لأنّ التّوكيد رفع المجاز في الفعل**))[٢٣]، أو هو ((**دفع المجاز عنه لكون المجاز لا يؤكَّد**))[٢٤]، والحقيقة أنّه يمكن توكيده على قلّة بسبب ضعف حجّةِ المُتكلّم مقارنةً بالحقيقة التي يتهيّأ لقائلها أنْ يخرجها مُوثّقةً مؤكَّدة .

٧ ــ تحصيل الحاصل: وهذا المصطلح مما أورده اللسانيّون في تناولهم للخطاب وأبانوا فيه القدرة الحجاجيّة، نحو تحليلهم النص: ((**هذا حرامٌ لا يجوز ... فقد أكد الحجة الأولى بحجة أخرى ، وهي تكرار الحكم بلفظين هما : حرام ولا يجوز ؛ إذ تكفي إحداهما من وجهة النّظر الدلالية ، ومع التسليم بهذا إلا أنّ المفتي قد عمدَ إلى التّكرار بوجهين مختلفين للدلالة نفسها ليؤكد بعضه ببعض ، فهذا أبلغ في الأثر التداوليّ (الإقناع) الذي يرومه الشيخ**))[٢٥] ، وفي جميع الأحوال فهي من التوكيد إلا أنّ التركيز هنا لم يعد على التواصل بل على التأثير ، فالغرض هو إقناع المتلقي وجعله يتأثر بمنطوق الكلام .

ولو عدْنا إلى هذه النقاط وأجَلْنا النَّظَرَ فيها خلَصْنا إلى أنّها تعدّدتْ وتداخلتْ ، وربّما صدَق أكثرها على الموضع الواحد كما في قوله تعالى : ﴿ ولا طائِرٍ يَطِيْرُ بجناحِيْهِ ﴾ ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى نجد تباين الفُنون التي نُسِب إليها التّقييد بالمعلوم ، فالغرض الأوّل "الإطناب" (النقطة الأولى) يقع ضمن علم المعاني ، ويقع الغرضان الثاني والثالث "زيادة التعميم والإحاطة " والانفصال ضمن البديع ، ويقع الغرض **الرابع (التوكيد)** في ضمن أبواب النحو أو علم المعاني، ويقع الغرض الخامس (المبالغة) والسادس (رفع المجاز) في ضمن فنّ البيان، وربّما دفعْنا هذا إلى القول: إنّ هذا التنوّع في التّقْسيمات البلاغيّة كان تنوّعًا مبالغًا فيه ، وإلّا لَمَا حدَثَ هذا التّداخل في ظلّ الظّاهرة الواحدة والموضع الواحد...

ويمكن إجمال الغايات في التُّراث بالآتي:

الأولى: زيادة في التّوكيد ، أي المبالغة في الكلام .

الثانية: رفع المجاز، أي حصر الكلام بالحقيقة ، وقد أبان البحث رأيه في ذا .

الثالثة: فصل الشيء عن مشاركِهِ ، أي تخصيصه .

الرابعة : التعميم ، وهذا يستبعده البحث أحيانًا كما سيأتي ...

لكن قد تعانق هذه الدّلالات العامّة دلالات جزئيّة لعلّها تتضح بعض الشيء بالقادم ...

مشروعيّة التّقييد بالمعلوم ومشروعية دراسته

قد يقول بعضٌ كيف يكون هذا الكلام أو القيد معلومًا ؟ وفي الوقت ذاته يدلّ على معنى ، ثم أنّ النّاس متباينون بالفهم ؛ فمعلومُ زيدٍ مجهولٌ عند بكر ...

الجواب على ذا : أنّ الأمر موكول إلى أنّ العرب قد أَلِفَتِ استعمالاتها اللغويّة ، فنظامها الدّقيق خصّ أمورًا ملازمة لأخرى... حتى غدا هذا مألوفًا لا يَحارُون فيه ، فالقائل : "رأيت الحادثة بعيني" لا يبهم على سامعه إذا قال رأيت الحادثة ... ، والسبب أنّ العرب أدركت ووعَتْ هذا الاستعمال ، فصارت معلوميّة هذا النّوع من التّقييد هو ما **ألفته العرب** ، وقد أشارت الدّكتورة بنت الشّاطئ إلى مضمون ذا عند الحديث عن إغارة الخيل في سورة العاديات بقولها: ((**ويلحظ هنا أنّ العربية تخصّ الإغارة بالخيل ، ولو لم يذكر لفظ (الخيل) ، فتقول : أغار على القوم : دفع عليهم الخيل ، وأغار الفرس : اشتدَّ عَدْوه في الغارة ، فاسْتعمال المُغيرات للخيل هنا يتأيّد بمألوف الحسّ اللُّغويّ لهذا اللفظ تخصُّ به الخيل**))[٢٦]، أي إنّ التقييد بالمعلوم يكون مع المُتلازمات.

وإذا كان الأمر مما يألفه الحس فقد يقال: وهل مثل هذا به حاجة إلى دراسة ؟ والجواب يظهر في كثير من المواضع التي ذكرناها وفيما سيأتي من البحث ولكن للتوضيح أكثر نوجز فنقول : إنّه قد يتبيَّن اللَّفظ مضمونًا من دون ذكره كالنَّعت ، إذ هو يتبيَّن من المنعوت ، فيكون ذكره لغاية توكيديّة، نحو قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاء ﴾ (النساء: ١) ، فالنّفس يُفهم من لفظها أنّها "واحدة" لا غير ، ومع ذلك وُصِفتْ بـ "واحدة" ، ورأى الاستراباديّ أنّ ذا للتّوكيد ؛ إذْ قال : ((**يكونُ الوصف للتَّأكيد إذا أفاد الموصوف معنى ذلك الوصف مصرَّحًا به بالتَّضمين، نحو : ﴿نفخةً واحدةً﴾ [سورة الحاقة: ١٣]**))[٢٧]، لكن مع الغاية من التوكيد في ((نفس واحدة)) تتجلّى غاية إشعار الخليقة المتنافرة المتناحرة بعودتهم إلى أصل واحد ، فمن ثَمّ ينبغي ترك ذلك التّمادي وتهميش الآخر في الوقت الرّاهن ، والتّمسك بتقوى الله ، ((**وعلى هذا الأساس لا مبرّر للتّمييز العنصريّ ، واللغويّ ، والمحلّيّ ، والعشائريّ ، وما شابه ذلك ممّا يسبِّب في عالمنا الرّاهن آلافًا من المشاكل في المجتمعات . ولا مجال لهذه الأُمور وما يترتّب عليها من الأمجاد الكاذبة والتفوّق الموهوم في المجتمع الإسلاميّ؛ لأنّ كافّة البشر على اختلاف ألوانهم ، ولغاتهم ، وأقطارهم يرجعون إلى أب واحد وأُمّ واحدة ، وتتّضح أهمية مكافحة هذا الأمر ـ أكثر فأكثر ـ إذا لاحظنا أنّ ذلك قد تمّ في زمن كان يعاني بقايا ورواسب نظامٍ قبليّ وعشائريّ ظالم ، ونعني عصر النّبيّ**))[٢٨] .

إذن فقد دلّت هذه اللفظة المعلومة (واحدة) على أنّ الطائفيّة الملقاة على كاهل المجتمعات إنّما هي محض إكذوبة ينبغي الانتباه إليها ، فمصدرنا واحد (من نفس واحدة) ، ...

المبحث الثّاني : أنماط التّقييد بالمعلوم

للتّقييد بالمعلوم أنواع مُعيَّنة في القرآن الكريم ، ويجرُّ هذا التّباين في الأنْماط إلى تباين الدَّلالات ، وقد يكون السّرُّ في استعمال أنْماط معينة دون غيرها لِما يتحمّلهُ هذا النّمط من موسوعيّة في الاستعمال ، وقد اعتادت الدِّراسات على تناول المفردة

دون الجملة وشبهها، بعد إرجاع الجملة أو شبهها إلى المفرد ، وهذا وإنْ كان فيه تيسيرٌ نحويّ إلا أنّ فيه تجنّيًا على الجملة وشبهها؛ لذا آثر البحث إعطاء كلٍّ حقه ، فكان العمل يشمل : المفرد وشبه الجملة والجملة ...

القسم الأول: التّقييد بالمفرد : وهذا أكثر وأوضح ، و أقصد بالمفرد هنا ما ليس بشبه جملة ولا جملة ، وأغلب ما يكون هذا النمط بالمنصوبات، وعلى النحو الآتي :

التّقييد بالمفعول به المعلوم: قد يأتي المفعول به معلومًا للسّامع ، وقد وردت منه أمثلة في القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿ وَاتَّقُواْ يَوْمًا لاَّ تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا وَلاَ يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلاَ يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلاَ هُمْ يُنصَرُونَ ﴾ (البقرة : ٤٨) ، فمجيء (شيئًا) مفعولًا به ، مع أنّ الكلام يفهم من دونه كان لغاية زيادة عموم الكلام ، وأنّه من المستحيل أنْ تجزي نفس عن نفس شيئًا[٢٩] صغيرًا أو كبيرًا ، حقيرًا أو عظيمًا . إنّ هذا التعبير يبيّن عظم الفاجعة التي ستلحق بالنُّفوس حيث الجزاء الصارم والمحاسبة الدقيقة ، ومع أن الإطلاق إذا جاء[٣٠] دل هذا المعنى على انتفاء المجازاة ؛ فالإطلاق يُحمل على إطلاقه إلا انّه قد يشعر بأنّه يمكن أنْ يُتساهل مع الأمور الصغيرة ومجيء القيد المذكور (شيئا) نفى حتى الصغير . ونحوه قوله تعالى: ﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِن كَانُواْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾(البقرة: ٥٧) .

وهنا لفظ (الغمام) الوارد محتَمَلٌ ذِكْرُهُ ، وإنْ لم يُذْكَرْ ، وهو من الغمّ ويعني ستر الشيء ، فالتسمية بالغمام لكونه ساترًا لضوء الشمس[٣١]، وقد أدْلى ببيان نعمةٍ من نِعَم الله عليهم بهذا الغمام ، فهو وإنْ كان يُعلم من دون ذكره إلا أنّه ذُكِر كونه محلَّ الامتنان الذي أسداه الله إلى المَعنيّين ؛ فمِنْ دونِ الغمامِ تعسُرُ الحياةُ بسبب حرّ الشَّمس ولهيبها ، وقد تناغم هذا اللفظ مع النص الوارد فيه ، فالنّصّ كانَ في تعداد النّعم المنزلة على بني إسرائيل ولفظ الغمام يقرر مضمون ذلك النص ، ويشد من بيان فضائل الله تعالى عليهم ...

ومن المفعول ما كان مفعولًا به ثانيًا ، نحو قوله تعالى : ﴿ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ اللهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءكُمْ ظِهْرِيًّا إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ (هود:٩٢) ، وهنا (اتخذ) تأخذ مفعولين ، الثاني منهما هو (ظهريا) ، وهو معلوم كونه سبقَ بما دلّ عليه ، وهو الظّرف "وَرَاءكُمْ" ، فكان المعني بالمفعول به الثاني " ظهريا " يعني أنّكم ((**رميتم به وراء ظهوركم ، أي لم تلتفتوا إليه ، يقال في المثل: " لا تجعل حاجتي منك بظهرٍ"، أي لا تطرحها غير ناظر إليها**))[٣٢] ، وهذا المعنى مُتّضِح من فحوى الكلام السّابق، فكان القيد "ظِهْرِيًّا" معلومًا في الظاهر غير أنّه أدلى بالذمّ المبالغ لهم كونهم اقترفوا خطأً فادحًا لمبالغتهم بفعلهم الشنيع .

التقييد بالمفعول فيه المعلوم : المفعول فيه : هو الذي يبيّن مكان أو زمان وقوع الفعل[٣٣] إلا أنّ هذه الوظيفة الدلالية ليست دائمًا ، ففي قوله تعالى : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ ﴾ (الإسراء : ١) ، ((**انتصب ﴿ ليلًا ﴾ على الظرف ، ومعلوم أنّ السُّرَى لا يكون في اللغة إلا بالليل ، ولكنّه ذكر على سبيل التوكيد . وقيل : يعني في جوف الليل ، فلم يكن إدلاجًا ولا ادّلاجًا . وقال الزمخشري : أراد بقوله : ﴿ ليلًا ﴾ بلفظ التنكير تقليل مدة الإسراء ، وأنّه أسرى به في بعض الليل من مكّة إلى الشّام مسيرة أربعين ليلة ، وذلك أنّ التّنكير فيه قد دلّ على معنى البعضيّة، ويشهد لذلك قراءة عبد الله وحذيفة (من الليل)، أي: بعض الليل كقوله:** ﴿ وَمِنَ الليل فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً ﴾ **[الإسراء : ٧٩] يعني الأمر بالقيام في بعض الليل**))[٣٤] ، فلو لم يذكر القيد (ليلًا) لاحتمل استمرار الإسراء ليالي متعدِّدَة إلا أنّ مجيء القيد أثبتَ أنّه تمَّ في قسم من الليل. ونحا ابن عربي (ت٦٣٨ هـ) منحى غريبًا في تفسير الليل بقوله : ((**ليلا : أي في ظلمة الغواشي البدنية والتعلقات الطبيعيّة ؛ لأنّ العروج والتّرقّي لا يكون إلا بواسطة البدن**))[٣٥] ، ولا يصدق هذا على خير الأنبياء .

ووجد بعضٌ تخريجًا ينأى به عن الصواب ، فذهب إلى أنّ أسرى الواردة ليست من سرى يسري ، أي التي تعني السير ليلًا ، يذكر الراغب الأصفهانيّ : ((**قيل : إنّ (أسرى) ليست من لفظة سرى يسري ، وإنّما هي من السراة ، وهي أرض واسعة**))[٣٦] ، فيكون المقصود أنّ النبيّ قطع أرضًا واسعة بقدرته تعالى ، ... ولا ريب أن هذا التقدير تكلف واضح ، فالإسراء هو السير ليلًا كما هو المشهور والمألوف ، والروايات أنّ النبي بلغ حدًّا يتجاوز الأرض الواسعة حيث سدرة المنتهى ، وهذا لا يناسبه أيُّ أرض لتفوّقه عليها ، إذن فالعدول بالإسراء إلى لفظ آخر لا يُقبل إذا كان على حساب تجنب الاصطدام بالمألوف اللغويّ ، ونحن نجد في القرآن موضعين آخرين يطابقان هذا الموضع في قوليه تعالى : ﴿ قَالُواْ يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُواْ إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَلاَ يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلاَّ امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴾ (هود : ٨١) ، و﴿ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلاَ يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ وَامْضُواْ حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴾ (الحجر : ٦٥) ، وهنا أيضًا ذكر القيد المعلوم (الليل) .

ويبدو لي ــ وأخصّ الموضع الأول ــ أنّ هذه الحادثة لمّا كانت محلّ شكّ الكثير كالمنافقين جيء بها مُفصّلة غير مجملة ، ومن جهة أخرى جاءت تدليلًا للعباد أنّ ما حدث كان ليلًا ؛ لأنّه لو لم يُذكر لَوهَم بعض في فهم زمان هذه الحادثة ، فالإسراء قد يقع في ليلة ، وقد يقع في ليالٍ ، وقال أمير المؤمنين (عليه السلام) : ((لَنَا حَقٌّ ، فَإِنْ أُعْطِينَاهُ ، وَإِلاَّ رَكِبْنَا أَعْجَازَ الأَبِلِ ، وَإِنْ طَالَ السُّرَى))[٣٧] .، يعني أن السرى كان لسنين متعددة ، فالقول أسرى ليلًا يعني أنه تم في جزء من الليل ــ كما مرّ ــ[٣٨] ، ويزيد على ذا أنّ غرض الإسراء (لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا) ، والرؤية الطبيعية في فهم العرب تكون نهارًا ، فجاء القيد (ليلًا) ليُوحي بقدرته تعالى ومدى الكرامة التي نالها الرسول المصطفى من معجزة حيّرت العقول ...

التقييد بالحال المعلوم: الحال يبيّن هيئة صاحبه[٣٩] ، وقد يأتي لغير هذه الغاية كون الكلام غير متوقِّف عليه ، نحو ما جاء في قوله تعالى : ﴿ وَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللّهُ حَلاَلًا طَيِّبًا وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي أَنتُم بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴾(المائدة : ٨٨) ، فإضافة الرزق إلى الله تعالى دليل كافٍ على عظمة الرزق ، فكان ذكر القيد ــ الحال ــ "حَلاَلًا طَيِّبًا " مفهومًا وإنْ لم يذكر ، فكيف يؤمر بأكل رزق ليس فيه هذه الصفة ؟! والجواب : إنّه ((**قيد توضيحيّ مساوٍ لمُقيَّده ، والنّكتة في الإتيان به بيان أنّ كونه حلالًا طيبًا لا يدع عذرًا لمعتذر في الاجتناب والكفّ عنه على ما تقدم**))[٤٠]، فهو من باب التّرغيب والحثّ على طلب الرّزق الحلال .

ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِيْنَ﴾(التوبة: ٢٥)، فالذي ولّى في هيئة إدبار بلا شك ؛ لذا كان قوله (مدبرًا) توكيدًا لذلك الإدبار، وهذه هي الحال المؤكدة[٤١]، وقد أكّدت الحالة السيئة التي اتسموا بها من جبن وتخاذل.

التقييد بالنّعت المعلوم: النعت يبيّن صفة من صفات متبوعه[٤٢] غير أنّه أحيانًا يقرّرها، وهذا التّقرير أيضًا يأتي لغاية منشودة ، ومنه قوله: ﴿ وَفِي الأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاء وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (الرعد : ٤) ، فـ((**الزروع والكروم والنخيل النابتة في هذه القطع ، مختلفة الأجناس والأنواع ، وهي تُسقى بماء واحد ، وتراها متغايرة الثَّمر في الأشكال والألوان والطُّعوم والرَّوائح ، متفاضلة فيها**))[٤٣] ، فكلّ هذه الصُّنوف من النباتات تُسقى بالشيء ذاته ، وهذا توثيق لقدرة عظيمة تحارُ فيها العقول ، وتستكين لها الأنفس... والقيد المعلوم هنا (واحد) نعت لـ (ماء)، ولفظ ماء (واحد)[٤٤] غير أنّ التّركيز على وحدويته للغاية المذكورة ، وهي أنّ الناتج منه نباتات متنوعة ومتباينة طعمًا ولونًا ورائحةً، فسبحان الخلاق البديع[٤٥].

التقييد بالشرط المعلوم: الشرط أسلوب لغوي يقتضي تعالقًا بين تركيبين ، فيكون احدهما متعلقًا على الآخر ، وقد يكون الشّرط موحيًا غير الغاية المألوفة عنه، وهي تعليق شيء على آخر، فالاستعاذة من الليل المظلم في قوله تعالى: ﴿ قل أَعُوذُ بربِّ الفلَقِ *

مِنْ شرِّ ما خلَقَ * و مِن شرِّ غاسِقٍ إذا و قَبَ ﴾(الفلق :١-٣) مقيّدة بدخوله ، وهنا ((**سؤال : ما هو الوجه في تقييد (غاسق) بـ (إذا وقب)؟ جوابه ؛ لأنّ الليل إذا لم يدخل فلا وجود له ، ومن ثَمّ فلا وجود للشر الناتج عنه ، والاستعاذة ليست من ذات الليل ، بل من الشر الحاصل فيه ، أي : بعد دخوله**))[٤٦] .

ومنه ﴿ إن في ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين ﴾ (آل عمران: ٤٩)[٤٧]... ، فيحتمل أنْ يكون خطابًا لمن لم يؤمن بعد ، وإن كان خطابًا لمن آمن ، فمع معلومية إيمانهم فذلك على سبيل التثبيت وتطمين النفس وهزّها ، مثلما يقول الأب لابنه : أطعني إن كنت ابني ، ومعلوم أنه ابنه ، ولكنّه يريد أنْ يهزه بذكر ما هو محقّق ، وذلك بذكر ما جعل معلقًا به على سبيل أن يحصل . إذن فالشرط هنا جاء للحثّ والترغيب في السعي ...

القسم الثّاني : التّقييد بشبه الجملة المعلومة

شبه الجملة كثيرة الورود في الكلام العربيّ ، ويُقصد بها (الظرف، والجار والمجرور) ، ولها حريّة التنقّل أو الاستعمال بحسب مقام الكلام ، فهي تارة تقدّم ، وتارة تؤخّر، وعند النّحويين تقوم مقام جملة ، أو مقام مفرد، سوى أنّه مع هذا الاستعمال الواسع دأبت الدراسات على حملها على المفرد، أو إجراء ما يجعلها تابعة لغيرها، بعد تقدير متعلق لها، يقول ابن مالك[٤٨] :

وأخبروا بظرف أو بحرف جرّ ناوينَ معنى كائن أو استقرّ

فلم يستسيغوا أنْ يكونَ شبه الجملة (الظرف والجار والمجرور) هو الخبر إلّا بعد تقدير متعلق محذوف وجوبًا ، ولمّا كان محذوفًا ــ ولا يجوز إظهاره ــ فُتِحَتِ الاحتمالات لتقديره، فبعضهم قدّره "استقر"، وبعضهم قدره بـ "مستقر" أو "كائن" سوى رأي ابن السراج الذي ذَهب إلى أنّ الظَّرف قسمٌ قائم بذاته[٤٩]. وقد تحامَلَ ابنُ مضّاء كثيرًا على النحويّين حين رآهم يُقدِّرون مُتعلّقًا للخبر الواقع ظرفًا ؛ إذ يقول: ((**فيزعم النّحويون أنّ قولنا (في الدّار) متعلّق بمحذوف تقديره (زيد مستقر في الدار)، والدّاعي لهم إلى ذلك ما وضعوه من أنّ المجرورات إذا لم تكن حروف الجر الداخلة عليها زائدة ، فلا بدَّ لها من عامل يعمل فيها إنْ لم يكن ظاهرًا كقولنا : (زيد قائم في الدار) كان مضمرًا كقولنا : (زيد في الدار) ، ولا شكّ أنّ هذا كله كلام تامّ مركب من اسمين دالّين على معنيين بينهما نسبة ، وتلك النسبة دلت عليها (في)، ولا حاجة بنا إلى غيرذلك**))[٥٠] ، وهذا أيسر على الجميع والأقرب للواقع، بل الواقع بعينه، وأيّده الدكتور المخزومي رادًّا تقوُّلات النّحويّين بتقدير متعلق للظرف الواقع خبرًا: ((**إنّ التقدير في هذا ونحوه فضلة وزيادة لا يفتقر إليها الكلام ، ولا ينتظرها السّامع ، ولم يتكلَّف النّحاة مثل هذا التّقدير إلّا لِمَا تواضعوا عليه منْ أنّ المجرورات إذا لم يكن حروف الجر الداخلة عليها زائدة ، فلا بد لها من عامل يعمل فيها**))[٥١] . والآن نعود فنقول : لعلّنا بسطنا القول بعض الشيء في هذه المسألة، وصولًا إلى القول باعتمادها جزءًا قائمًا بذاته .

ومن أمثلة هذا الجانب ما ذكره الزمخشريّ في قوله تعالى: ﴿ إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾(النور:١٥)، ((**فإنْ قلتَ : ما معنى قوله : ﴿ بأفواهكم ﴾ ، والقول لا يكون إلاّ بالفم ؟ قلتُ : معناه أنّ الشّيء المعلوم يكونُ علمه في القلب ، فيترجم عنه اللسان. وهذا الإفك ليس إلاّ قولًا يجري على ألسنتكم ، ويدور في أفواهكم من غير ترجمة عن علم به في القلب**))[٥٢] ، فهم أهلُ ظاهر لا باطن يتكلّمون بملء أفواهِهم من دونِ أنْ يكونَ ثمّة وجدان لِمَا يتقوّلونه ... ، ويشفع لنا في ذا أنّ هذه اللفظة "أفواه " ذكرت في القرآن الكريم في اثني عشر موضعًا كلها كانت للذَّمّ[٥٣] ، أي يكون التقييد به مع معلوميته قد جاء للتشنيع على أولئك الذين يجعلون الحصّة الكبرى من فِعالهم لأفواهِهم ، وكم حاكت غير الواقع ، وافتعلت الأقاويل ، وهذا ديدنها في الحياة الدنيا حتى يأتي يوم يشنُّ عليها باللجام : ﴿ الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ

وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ (يس : ٦٥) ، يرجو بنا وبالجميع أنْ ندرك حقيقة : أنّ القرآن الكريم يناجي القلوب ، وما غير القلوب فالمفروض أن تكون تبعًا للقلوب ...

ومن أسرار التّعبير القرآنيّ التّقييد بشبه الجملة (في جوفه) ، وكذا (بِأَفْوَاهِكُمْ) في قوله تعالى : ﴿ مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ﴾ (الأحزاب : ٤) وهنا جاء القيد المعلوم (فِي جَوْفِهِ) ، ((**وذكر الجوف ، وإنْ كان المعلوم أنّ القلب لا يكون إلا بالجوف، زيادة للتّصوير والتّجلّي للمدلول عليه كما قال تعالى:** ﴿ ولكنْ تعمى القُلوبُ التي في الصُّدور ﴾ **، فإذا سمع بذلك ، صوّر لنفسه جوفًا يشتمل على قلبين يسرع إلى إنكار ذلك**))[٥٤]، وقد دعتْ زيادة التّصوير والتّجلي هذه إلى حصر الكلام بالحقيقة ، فالقلب قد يعبَّر به عن غير القلب الحقيقيّ عن شخص أو شيء محبوب مثلًا إلا أنّ القيد (في جوفه) حصر المقام بالقلب الحقيقيّ ، ويُزاد على ذا الدَّعوة إلى توجيه الإنسان إلى نهج سليم واحد وعدم التذبذُب بين خطّين مفترقين بُنِي عليها الكلام القادم ، فليس الأزواج كالأمهات ، وليس الأدعياء كالأولاد ... وقد مرَّ الحديث عن القيد (بِأَفْوَاهِكُمْ) ، وهو هنا فضلًا عمّا ذُكِر أفاد عتاب طائفة معيَّنة ادّعت ما لم يشرِّعْه الله، فكان هذا الحكم يقول لهم : إنّما هو (بِأَفْوَاهِكُمْ) ، فجاءت خاتمة الآية لتكون الحقيقة الواجب انتهاجها (وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ) .

القسم الثالث : التقييد بالجملة

الأمثلة بتقييد النّصّ بالجملة كثيرة ولا يقتصر التقييد على المكملات فقط مثلما كان تصوري في رسالة الماجستير ، إذ قد يكون بالجملة المعلوم مضمونها للسّامع بدليل أنّ النحاة لديهم الجملة قد تقوم مقام المفرد، ومن جهة أخرى إذا قصرنا التقييد بالمكملات أي بقيود الجملة، فهذا يعني تجزئة منظومة الكلام . نعم تدرس الجملة لوحدها كونها جزءًا ضمن كلٍّ ، وقد تأتي في هذا الكلّ جزئية معلومة للسّامع والغرض منها ليس الذي في ذهن السامع، بل أمور تُتوخى من منظومة الكلام مثال ذلك قوله تعالى : ﴿ قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّى مَا يُوعَدُونَ * رَبِّ فَلاَ تَجْعَلْنِي في القوم الظالمين ﴾ (المؤمنون: ٩٣ ــ ٩٤)؛ فـ ((**لما ذكر ما كان عليه الكفار من ادّعاء الولد والشّريك له ، وكانَ تعالى قد أعلمَ نبيّه (صلّى الله عليه [وآله] وسلّم) أنّه ينتقم منهم ، ولم يبيّن إذ ذاك في حياتِهِ أم بعد موتِهِ ، أمره بأنّه يدعو بهذا الدّعاء ، أي إنْ ترني ما تعدهم واقعًا بهم في الدنيا أو في الآخرة فلا تجعلني معهم، ومعلوم أنّه (عليه السلام) معصوم مما يكون سببًا لجعله معهم ، ولكنّه أمره أنْ يدعو بذلك إظهارًا للعبوديّة وتواضعًا لله**))[٥٥] ، فما منّا إلّا ويعرف النّتيجة أنّ النّبيّ لا يحشر معهم البتّة غير أنّ الدعاء الوارد كما مرّ لإظهار العبوديّة لله وعلى الإنسان مهما ترقّى في عالم المعرفة فعليه أنْ لا يستشعر فضل نفسه وأنّه خرج من محل الحساب ، بل يواظب على التذلّل لربّه ... ، وهذا النّصّ تعريض بجميع النّاس على الالتجاء لله تعالى ؛ إذ كان هذا شأن الرّسول فما بالنا نحن[٥٦] ؟!

المبحث الثالث : التّقييد بالمعلوم عند المفسرين ـ دراسة نقديّة ـ

تحديد دلالة التّقييد بالمعلوم تتوقف على معرفة السّياق سواء أكان داخليًّا ويشمل النصّ (القرائن اللفظية) أم خارجيًّا ويشمل القرائن الحاليّة (الأحوال المحيطة أو مقام الكلام) ؛ فالقائل لصديقه الجملة : (ذقته بلساني) قد يقولُها مقيّدًا الذوق بـ(لساني) ؛ لأنّه كان قد وجدَ ما ذاقه خطرًا لا يمكن تذوّقه ، ومن ثَمّ يجعل كلامه مُفصَّلًا في حادثة الذّوق ، مثلما مر ، وقد يشيرُ إلى لسانه كأنّه يريدُ أنْ يشرك (اللسان) في أنْ يكون شاهدًا لإقناع المتلقي بأنّه قد تذوّق ، أو يقولها ؛ ليدلّ على أنّ التذوق قد صدر منه لا من غيره ، أو يقولُها إذا كان بلسانه عجز عن قول هكذا نص ، أو غير ذلك مما يحتمله المقام وعادة ما نحتاج إلى عموم النّصّ الذي جاء فيه ذلك المقطع النصيّ من أجل معرفة الدّلالة بصورة قطعيّة لا احتماليّة ، أي إنّ القصد لا يُبان بغير

النّظر إلى ملابسات الكلام ، بيد أنّ طائفة من الحكم على التّقييد بالمعلوم عند المفسّرين لم تصب الحقيقة لافتقادها التدقيق، فكانَ أنْ صدَرتْ طائفة من الأحكام الواهمة، وعلى النحو الآتي:

القسم الأول : عدم استيفاء الدلالة المُقنعة للتّقييد بالمعلوم

قد يشوب الحكم الدّلاليّ شيء من الاقتضاب ، ومنه ما قيل في قوله تعالى : ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِندِ اللهِ لِيَشْتَرُواْ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُمْ مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴾ (البقرة : ٧٩) ، فشُبْه الجملة((**بأيديهم : تأكيد يرفع توهم المجاز ، لأنّ قولك : زيد يكتب ، ظاهره أنّه يباشر الكتابة ، ويحتمل أنْ ينسب إليه على طريقة المجاز ، ويكون آمرًا بذلك ، كما جاء في الحديث أنّ رسول الله (صلى الله عليه [وآله] وسلم)كَتَبَ ، وإنّما المعنى : أمر بالكتابة ؛ لأنّ الله تعالى قد أخبر أنّه النبيّ الأميّ ، وهو الذي لا يكتب ولا يقرأ في كتاب . وقد قال تعالى :** ﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ ﴾[٥٧] ، **ونظير هذا التأكيد** ﴿ يطير بجناحيه ﴾ ، ﴿ ويقولون بأفواههم ﴾ ، **وقوله:** نظرت فلم تنظر بعينيك منظرًا

... **فهذه كلها أُتِي بها لتأكيد ما يقتضيه ظاهر اللّفظ ، ولرفع المجاز الذي كان يحتمله. وفي هذا التّأكيد أيضًا تقبيحٌ لفعلهم، إذ لم يكتفوا بأنْ يأمروا بالاختلاق والتّغيير، حتى كانوا هم الذين تعاطوا ذلك بأنفسهم ، واجترحوه بأيديهم . وقال ابن السرّاج: ذكر الأيدي كناية عن أنّهم اختلقوا ذلك من تلقائهم ، ومن عند أنفسهم ، من غير أنْ ينزَّل عليهم . انتهى كلامه ، ولا يدلّ على ما ذكر ، لأنّ مباشرة الشيء باليد لا تقتضي الاختلاق ، ولا بدَّ من تقدير حال محذوفة يدلُّ عليها ما بعدها ، التقدير : يكتبون الكتاب بأيديهم محرّفًا ، أو نحوه مما يدلّ على هذا المعنى لقوله بعد ثم :** ﴿ يقولون هذا من عند الله ﴾ ، **إذ لا إنكار على من يباشر الكتاب بيده إلا إذا وضعه غير موضعه))**[٥٨] .

ويبدو لي أن ابن السراج أصوب من الزمخشريّ ، فذكرُ الأيدي بمعاونة سياق الكلام كان لذمّ المعنيّين ، وأنّهم يصطنعون الأمر من تلقائهم لا أنّه من عند عزيز قدير ، فنُسِب عملهم لأيديهم كما يفعل أحدنا حين يعاتب مخطئًا (هذا كله من يده) ، ولا حاجة لتقدير شيء ، الكلام به غنى عنه .

وسنكتفي بهذا المقدار ، فما مضى في البحث يصلح أنْ يكون تمثيلًا لهذا القسم ، فقد رأيناهم يقولون يفيد التوكيد وكأن التوكيد مطلوب بذاته لا أنه يدعو إلى وظيفة ما على النحو من حثِّ المتلقي على القيام بالفعل أو تجنُّب شيء ما ، يجب أنْ يكون التماس الوظيفة هو الأصل؛ لأنّ القرآن كتاب هداية ، همّه التأثير والتحفيز على الصلاح والإصلاح ، فمع أن التواصل معه جميل ولكن الأجمل الاهتداء والامتثال لما فيه ، وغايته هذه تفرض علينا دراسة القرآن في منظورها ...

ــ القسم الثاني: وهم المفسرين في بيان دلالة التّقييد بالمعلوم في بعض الأحايين

قد يعلّل المفسّرون دلالة التّقييد بمعلوم بأنّه للتّوكيد أو لتقوية الكلام أو لدلالة كذا وكذا ، ويبقى في النّفس حديث ... ، ومن هذه المسألة ما جاء في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللهُ مِنَ السَّمَاء مِن مَّاء فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ (البقرة : ١٦٤) ، فالقول (وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ) لم يعهد ــ سالفًا ــ أنّ الفلك تجري في غير البحر، فـ((**ذكر مكان تلك الصّفة على سبيل التّوكيد، إذْ من المعلوم أنّها لا تجري إلا في البحر))**[٥٩] .

أقول وهل شكّ السّامعون ــ وإنْ كانوا مشركين ــ بأنّ الفلك تجري في البحر ؟

يبدو أنّ العرب ـ آنذاك ـ لمّا كانوا (أمة صحراء) ، والبحر يغيب عنهم إدراكه كان ذكره إشارة للتّعريض بقدرة الله سبحانه ، فالبحر آية من آيات الله ، ودليل من أدلّة قدرته ، وإذا كانت الفلك التي تجري فيه دلالة أخرى على قدرة الله تعالى ... ، فهي صورة للحياة (فلك + جريانها في البحر) ، ولو قيل : (الفلك) ، واكتفي به لَما كان في ذلك دعوى للتفكُّر التي حثّ عليها القرآن الكريم (لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُون) ، لقد أضْفَتْ شبه الجملة هذه (في البحر) حركيّة مع ما قبلها (خلق السماوات والأرض) (اختلاف [أي تعاقب] الليل والنهار)، ومع ما بعدها (إحياء أرض) (تصريف رياح وسحاب)، ومن ثَمّ ناسبت مقام ختام الآية ، وهي الحثّ على التفكُّر ، وتأتي (في البحر) مشاكلة مع هذه الغاية .

بل إنّه لا بُدَّ من هذا التّعبير، فالنّاس يعلمون أنّ البحر محلّ غرقٍ وهلاكٍ، لكنّه في هذا الموضع غدا وسيلة لنقل (الفلك) بما ينفع الناس مع أنّه يغرق فيه الجرم الصغير ، وقد جاءت المفارقة هنا أنّه كان أداة لنقل الأجرام الكبيرة (الفلك)، يؤيده ذا قوله تعالى :﴿ وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ﴾ (الرحمن : ٢٤) فقد أفاد القيد المعلوم (في البحر) المعنى نفسه ، فكان فيه تنبيه للعبد على التفكّر بقدرة الله والتأمل بمفاصل عظمة هذا الكون ، وأنّه دلالة على سرٍّ عجيب ... .

بل إنّ الغاية الكاملة قد تغيب عن المفسرين كما في عدم الإشارة إلى دلالة (في البحر) الوافية ، وقد تخفى على المفسرين هذه الغاية في بعض المواضع ، ومن أمثال هذا تفسير قوله تعالى : ﴿ سَيَقُولُ السُّفَهَاء مِنَ النَّاسِ مَا وَلاَّهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُواْ عَلَيْهَا قُل لِّلّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَن يَشَاء إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾(البقرة : ١٤٢) جاء في البحر المحيط أنّ لفظ السفهاء ((**خصّ بقوله (من الناس)، لأنّ السَّفه أصله الخفّة ، يوصف به الجماد . قالوا : ثوب سفيه ، أي خفيف النّسج والهلهلة ، ورمح سفيه : أي خفيف سريع النفوذ . ويوصف به الحيوانات غير الناس ، فلو اقتصر ، لاحتمل الناس وغيرهم؛ لأنّ القول ينسب إلى النّاس حقيقة ، وإلى غيرهم مجازًا ، فارتفع المجاز بقوله: (من النّاس)**))[٦٠] ، لكن كي تكون هذه النّتيجة صحيحة ينبغي أنْ يوافقها القرآن في غير موضع ، فقد وردت لفظة (السفهاء) أربع مرات في ثلاثة مواضع ، هي : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُواْ كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُواْ أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاء أَلا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاء وَلَكِن لاَّ يَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة : ١٣) ، و قوله تعالى : ﴿وَلاَ تُؤْتُواْ السُّفَهَاء أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ (النساء : ٥) وقوله تعالى : ﴿ وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاء مِنَّا إِنْ هِيَ إِلاَّ فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاء وَتَهْدِي مَن تَشَاء أَنتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ ﴾ (الأعراف : ١٥٥).

وإذا أجلنا النظر لم نجد ذكر القيد (من الناس) في كل المواضع ، فهل احتمل السفهاء هنا الناس وغير النّاس؟

لا يجد المتأمل بُدًّا من الذهاب إلى أنّ السفهاء في هذه المواضع كانت تخصّ النّاس فقط لا الجماد ونحوه ، وقد يقول بعضٌ : إنّ مقام هذه المواضع هو الذي حصر السّفهاء بالنّاس ، فنقول والمقام نفسه هو الذي أفاد أنّ السفهاء هم الناس أنفسهم في النّص (سَيَقُولُ السُّفَهَاء مِنَ النَّاسِ مَا وَلاَّهُمْ عَن قِبْلَتِهِمْ)، فـ (سيقول) هنا لا تأتي للجماد ، وهذا يدل على أنسيّة السفهاء ... إذن لم يكن صاحب البحر مصيبًا في التصريح بفائدة القيد (من الناس) ، فلم يكن لحصر السفهاء بالناس البتّة .. ، وإنّما كان لغاية أخرى يسعى البحث للكشف عنها ...، وإنْ كان البتّ بها لا يكون إلا بعد معرفة الدّلالات المترتبة من العودة إلى نصنا كاملًا ، ويمكننا وجود أن (سيقول السفهاء من الناس) قامت في قبال قول الله تعالى لنبيه بالتوجه إلى القبلة، فهم ناس مخلوقون لا دخل لهم بالقبلة، وإنّما عليهم الأخذ من الله تعالى عن طريق رسوله، وليس لهم دخل في التشريع، والله أعلم.

وقد وهم أبو حيان في تفسيره قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ (آل عمران : ٢١) ، وقد كان عنده ((**معنى: من الناس، أي: غير الأنبياء، إذ لو قال :**

ويقتلون الذين يأمرون بالقسط ، لكان مندرجًا في ذلك الأنبياء لصدق اللفظ عليهم ، فجاء من الناس بمعنى : من غير الأنبياء))[٦١]، ولا أدري كيف أفاد هذا القيد (من الناس) الفصل عن الأنبياء وكان يمكن أنْ تدل على هذه الغاية من دونه ؛ لأنّها عطفت (ويقتلون) والعطف يقتضي المغايرة... ، فلم يفد القيد (من الناس) الدلالة على (غير الأنبياء) ، وكل ما هنالك يمكن قوله : إنّهم يقتلون أبناء جلدتهم (من الناس) .

ونحوه قوله تعالى : ﴿ وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل ﴾ (البقرة : ٢٠٥) ، فالقيد ((**في الأرض ، معلوم أنّ السعي لا يكون إلاّ في الأرض، لكن أفاد العموم بمعنى: في أي مكان حلّ منها سعى للفساد، ويدلّ لفظ : (في الأرض) ، على كثرة سعيه ونقلته في نواحي الأرض ؛ لأنّه يلزم من عموم الأرض تكرار السعي ، وتقدّم ما يشبهه في قوله :** ﴿ لا تفسدوا في الأرض ﴾))[٦٢] ، ولكن الحقيقة أنّ العموم يتأتّى من الحذف لا من التخصيص أو الذكر ... ، وإذا كان السعي من خصوصياته أنّه يكون في الأرض فأين المزية في أن ذكر الملازم [السعي ملازم للأرض] يفيد العموم ؟

الذي يبدو أن ذكر القيد (في الأرض) ؛ عائد إلى أنّه محل الإشكال ، فالإفساد سيقع فيه ؛ لذا كان ذكره ضرورة لبيان إجرام ذلك المعنيّ بدليل قوله تعالى أيضًا : ﴿ إِنَّمَا جَزَاء الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُواْ أَوْ يُصَلَّبُواْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (المائدة : ٣٣) ، وكذا ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاء وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاء إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُواْ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا وَاللهُ لاَ يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾ (المائدة : ٦٤) ، فهنا التأكيد على مكان الإفساد وهو مع كونه معلومًا إلا أنّ ذكره من باب البيان التفصيليّ لذلك المُفسد لكنْ لمّا لم يحتجْ إلى ذلك جيء بهذا الفعل مجرّدًا من القيد (في الأرض) ، نحو قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِي لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (الجمعة: ٩) ، وقد يكون السّعي في الآيات الدالّة على قدرة الله تعالى ، فيقيَّد فعل السعي بها ، نحو قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴾ (سبأ :٥) ، وقوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُوْلَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ﴾ (سبأ: ٣٨) .

إذن فالقيد (في الأرض) لم يفد العموم ، بل إنّ حذفه هو الذي يفيد العموم ، نحو ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ﴾ (النجم : ٣٩) ، وقوله تعالى أيضًا : ﴿ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَى ﴾(النازعات : ٢٢) ، و﴿ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ مَا سَعَى ﴾ (النازعات : ٣٥) ، فالسّعي هنا أشدّ عمومًا من أنْ تذكر معه القيد (في الأرض) ، وإنّما كان ذكره لإثبات فساد المعنيّ ، ونحن إذا أردنا بيان شيء أخطأ به شخص معين نفصّل في الكلام بما يبيّن مدى خطأ ذلك الشّخص ...

الخاتمة

قامت الحياة على أنْ تكون لكلّ عمل نتيجة ، ولكلّ نتيجة اهتمام وتركيز من أجل إيصال الحقيقة بقالب موجَزٍ وعمل مكثّف ، وها هي خلاصة سعي وراء الموارد مع تأمُّل وتفتيش وتقليب للذّهن وصولًا إلى ما أزعم أنّ فيه فائدة تتجلّى بالفقرات :

١ ـ إنّ ما نراه معلومًا في القرآن الكريم ينبغي الوقوف عنده، والنّظر في زواياه ، ففيه ما فيه من روعة البلاغة وجمال التّعبير.

٢ ـ معلوميّة هذا التّقييد جاءت منْ أنّ العرب أَلِفَتْهُ ، وصار عندها نظامًا معروفًا ، فقد أَلِفَ العرب مثلًا أنّ الخيل خصّت بالإغارة ، فإذا ذكرتِ الإغارة علِموا أنّها للّخيل لا غير . وهذا يدلّ على أنّ هذا الفنّ عرفيّ ...

٣ ـ التقييد بالمعلوم لم يُذكرْ بهذه الصّورة ، وإنّما جاء ضمن مصطلحات وتعابير ركّز معظمها على وظيفته الدَّلاليّة ، فجاء ضمنَ الإطناب ـ الذي هو ضمن فروع علم المعاني ـ وذكر مع دلالة زيادة التّعميم والإحاطة ومع موضوع الانفصال ، وهذا تابع إلى البديع ، وجاء أيضًا ضمن الزّيادة في البيان والمبالغة ، والمبالغة تقع في مجالات فنّ البيان ، فهذا الفنّ بلاغيّ ...

٤ ـ إنّ وجود هذا الفن في أكثر من فنّ بلاغيّ ما بين علم معانٍ إلى بيان إلى بديع يعني أنّ التقسيمات البلاغيّة كان مبالغًا فيها بعض الشيء ، وقد خضعت لاجتهادات العلماء ، فليس من المعقول أن توجد الظاهرة الواحدة في ضمن أكثر من مجال متباين في الهدف ...

٥ ـ تنوَّعت أنماط هذا الأسلوب بين مفرد : مفعول به ومفعول فيه وحال ونعت ، وشبه جملة وجملة ... فهو فنّ نحويّ ، لكن به حاجة ماسة الى توظيف علم النص ؛ لأنه يمكن تحديد الدلالة بصورة واضحة .

٦ ـ تتجلّى روعة الإعجاز في هذا الفنّ ، فكلمة مألوفة تأتي في مكان تكون إذا تأملناها بؤرة الكلام والمحور الذي يدور عليه غرضه ورأينا ـ مثلًا ـ كيف أنّ وصف النفس بـ(واحدة) دلّ على غاية عظيمة خلاصتها أنْ لا مجال للطائفيّة ، وأن الطائفيّة شيء اصطنعه ركام العلوق بحبِّ الدُّنيا .. ودقّة هذا الفنّ في التّعبير جعلته فنًّا من فنون الإعجاز ..

٧ ـ إنّ طائفة من التّخريجات الدّلالية لهذا الفنّ ينقصها التّمام الدّلاليّ... ، وطائفة أخرى لم تُصِبِ الواقعَ اللغويّ، فهذا الفنّ مع وضوحه تباينت الآراء فيه ، وهذا سرّ من أسرار عظمة القرآن ... وأخيرًا اللهم لك الحمد ونسألك المغفرة والقبول ...

هوامش البحث

(١) التقييد في نهج البلاغة (رسالة ماجستير) : ١٥ ـ ١٦ .

(٢)العين : ٢ : ١٢٧٤ .

(٣)مقاييس اللغة : ٦٨٩ ، وينظر أساس البلاغة : ٤٣٤ .

(٤)المطول : ٤٩١

(٥)ينظر : المطول: ٤٩٩ .

(٦)المطول : ٢٣٩ ، وينظر : مباحث في التفسير الموضوعيّ : ٢٥ ـ ٢٦.

(٧) ينظر : مفتاح العلوم : ٢٨٥ ، وينظر منه : تفسير قوله تعالى : ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ ﴾ (الأنعام : ٣٨) وتكرر ذكر دابة مع الأرض ﴿ وما من دابةٍ في الأرضِ إلّا على اللهِ رزقها ﴾ (سورة هود : ٦) .

(٨) الدخُل : الرّيبة .

(٩)البرهان في إعجاز القرآن : ٤١٩ .

(١٠)يُنْظَرُ : علم لغة النَّصّ المفاهيم والاتّجاهات : ١٣ ، والمدخل إلى علم الألسنيّة الحديث : ٢١٢ .

(١١) تفسير ابن عربي : ١/ ١٩٨ .

(١٢) ينظر : من آيات الإعجاز العلمي (الحيوان) في القرآن الكريم : ٤٩ ــ ٥١ .

(١٣) حقائق التأويل في متشابه التنزيل : ٢٥٦ .

(١٤) معاني القرآن ، الفراء : ١ / ٣٣٢ ، ٢ / ٢٢٨ .

(١٥) سورة النحل : ٢٦ ، وقد اختلف في مغزى هذه الآية ، فـ ((قالت فرقة : المراد بقوله : فخرَّ عليهم السقف من فوقهم: جاءهم العذاب من قبل السماء التي هي فوقهم ، وقاله ابن عباس . وقيل : المعنى أحبط الله أعمالهم فكانوا بمنزلة من سقط بنيانه . قال ابن عطية : وهذا ينجرّ إلى اللغز . ومعنى قوله : من فوقهم ، رفع الاحتمال في قوله : فخرَّ عليهم السقف ، فإنك تقول : انهدم على فلان بناؤه وليس تحته ، كما تقول : انفسد عليه ، وقوله : من فوقه ، ألزم أنهم كانوا تحته انتهى . وهذا الذي قاله ابن الأعرابي قال : يعلمك أنهم كانوا جالسين تحته ، والعرب تقول : خرّ علينا سقف ، ووقع علينا سقف ، ووقع علينا حائط إذا كان يملكه . وإنْ لم يكن وقع عليه فجاء بقوله من فوقهم ليخرج هذا الذي في كلام العرب ، فقال : من فوقهم ، أي : عليهم وقع ، وكانوا تحته فهلكوا ، فأتاهم العذاب)) ، (البحر المحيط : ٥ / ٤٧١) ..

(١٦)سورة الأنعام : ٣٨ .

(١٧)كشف المشكل : ١٩٢ , وينظر: معاني القرآن للأخفش : ١٤٧ .

(١٨)حاشية الخضري : ٤٢٨/١ .

(١٩)سورة آل عمران : ١٦٧ .

(٢٠)سورة البقرة : ٧٦ .

(٢١)تأويل مشكل القرآن :١٥٢ ــ ١٥٣ ، وينظر : مفتاح العلوم : ٢٨٥ .

(٢٢) ينظر : الخصائص : ٢٧٢/٢ .

(٢٣)معترك الأقران : ٢٥١/١ .

(٢٤)حاشية الخضري : ٤٢٨/١ .

(٢٥) استراتيجيّات الخطاب : ٤٩١ .

(٢٦)التفسير البياني : ١ / ١٠٧ .

(٢٧)شرح الرضي : ٢/ ٢٨٨ ، وينظر : معاني القرآن الكريم للأخفش : ٢١٩

(٢٨)الأمثل : ٣ / ٥٦ .

(٢٩) ولمزيد من المواضع ينظر : البقرة : ١٢٣ ، ١٧٠ ، ٢٢٩ ، ٢٨٢ ، آل عمران : ١٠ ، ٦٤ ، ١١٦ ، ١٢٠ ، ١٤٤ ، ١٧٦ ، النساء : ١٩ ، ٢٠ ، ٣٦ ، المائدة: ١٧ ...

(٣٠) والتقدير في غير القران : (وَاتَّقُواْ يَوْمًا لاَّ تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ)

([٣١]) ينظر : المفردات : ٦١٣ .

(٣٢) الكامل في اللغة والأدب ، المبرد : ١ / ١٥ .

(٣٣) ينظر : المقتصد : ٦٣٢/١ .

(٣٤)البحر المحيط :٦ / ٦ .

([٣٥]) تفسير ابن عربي : ١ / ٣٧٤.

([٣٦]) المفردات : ٤٠٨ .

(٣٧) نهج البلاغة : ٤٧٢ .

(٣٨) وهذا يصدق مع الموضعين القرآنيين الواردين أعلاه .

(٣٩)ينظر : المقتصد في شرح الإيضاح : ٦٦٥/٢ .

(٤٠)الميزان : ٦ / ١٠٩ .

(٤١) ينظر : شرح شذور الذهب : ٢٧١ .

(٤٢)ينظر : المقتصد : ٢/ ٩٠٤ ــ ٩٠٥.

(٤٣)الكشاف : ٢ / ٤٨٣ ، ومرّ مثله في الحديث عن (نفس واحدة) .

(٤٤) ولمزيد من الأمثلة ينظر : البقرة : ٦١ ، ١٣٣ ، ١٦٣ ، ٢١٣ ، النساء : ١ ، ١٠٢ ، ١٧١ ...

(٤٥) وهناك أيضًا التقييد بشبه الجملة كلها(بِمَاء وَاحِدٍ) ، ولا غبار على أنّ السقاية تكون بالماء لا غير ، ولربّما أنّها ذكّرت الإنسان بأصل وجوده فهو من ماء أيضًا وإن تفرقت الأمم وتشعبت وتباينت ، والقرآن الكريم يقول : ﴿ أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاء كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (الأنبياء : ٣٠) ، فهي تذكير له بأصل وجوده ، يؤكد ذلك أنه يتحدث عن أصل الوجود ، وينسى نفسه .

(٤٦)منة المنان : ٧٥ .

(٤٧) ولمزيد من الأمثلة ينظر : البقرة : ٩١ ، ٢٤٨ ، ٢٧٨ ، آل عمران : ١٣٩ ، ١٧٥ ، المائدة : ٢٣ ، ٥٧ ، ١١٢ ، الأعراف : ٨٥ ، الأنفال : ١ ، التوبة : ١٣ ، هود : ٨٦ ...

(٤٨) شرح ابن عقيل : ١ / ١٩٨ .

(٤٩) ينظر : شرح ابن عقيل : ١ / ١٩٨ ـ ١٩٩ .

(٥٠)الرد على النحاة : ٨٧ .

(٥١)قضايا نحوية : ١٣٨ .

(٥٢)الكشاف : ٣ / ٢٢٢ ـ ٢٢٣ .

(٥٣) ونكلّف القارئ العودة إلى التّأمل فيها في المواضع : (آل عمران : ١١٨ ، ١٦٧) ، (المائد: ٤١) ، (التوبة: ٨ ، ٣٠ ، ٣٢) ، (إبراهيم: ٩) ، (الكهف : ٥) ، (النور: ٥) ، (الأحزاب : ٤) ، (يس : ٦٥) ، (الصف : ٨).

(٥٤)البحر المحيط : ٧ / ٢٠٧ .

(٥٥)البحر المحيط : ٦ : ٣٨٧ .

(٥٦) ولمزيد من الأمثلة ينظر : آل عمران :٤٤ ، والنساء:٩٥ ، والقصص : ٤٤ ، ٤٦ ، و يوسف : ١٠٢ ، والزمر : ٩ ، مع الاطلاع على : الكشاف : ١ / ٣٩٠ ، ١ / ٥٨٩ ، والمطول : ١٧٩ ـ ١٨٠ ، والبحر المحيط : ٢ / ٨٧ ـ ٨٩ . و منة المنان : ٧٥ .

(٥٧) العنكبوت : ٤٨

(٥٨)البحر المحيط : ١ / ٤٤٣ ــ ٤٤٤ .

(٥٩)البحر المحيط: ١ / ٦٣٩ .

(٦٠)البحر المحيط : ١ / ٥٩٣ .

(٦١)البحر المحيط : ٢ / ٤٣٠ .

(٦٢)البحر المحيط : ٢ / ١٢٥ .

ثبت المصادر والمراجع

ـ الكتب

١. الإتقان في علوم القران ، جلال الدين عبد الرحمن بن الكمال السيوطيّ (ت٩١١ هـ) ، ضبطه وخرج عليه : محمد سالم هاشم ، دار الكتب العلميّة ، بيروت ـ لبنان ، ط١ ، ١٤٢٨هـ ، ٢٠٠٧ م .

٢. الأشباه والنظائر في النحو ، جلال الدين السيوطي ، تح : د. فايز ترحيني ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، ط١ ،١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م .

٣. أساس البلاغة ، جارالله محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ) ، دار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت ـ لبنان ، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٤م .

٤. الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ـ لبنان ، ط٢ ، ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م .

٥. البحر المحيط ، أبو حيان أثير الدين محمد بن يوسف الأندلسي (ت ٧٤٥هـ) ، تح : الشيخ عادل أحمد عبدالموجود والشيخ علي محمد معوض ود. زكريا عبد المجيد النوتي ود. أحمد النجولي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ـ لبنان ، ط٣ ، ٢٠١٠م .

٦. البرهان في إعجاز القرآن أو بديع القرآن (ت ٦٥٤هـ) ، تح : د. أحمد مطلوب ، و د. خديجة الحديثي ، منشورات المجمع العلمي ، ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٦م .

٧. تاج العروس من جواهر القاموس ، السيد مرتضى الحسيني الزبيدي ، الجزء السابع ، تح : عبد السلام محمد هارون ، الكويت ، ١٩٧٠.

٨. تأويل مشكل القرآن ، عبد الله بن مسلم بن قتيبة (ت ٢٧٦هـ) ، تح : إبراهيم شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٢م .

٩. تفسير ابن عربي ، محيي الدين بن علي المعروف بابن العربي (ت ٦٣٨ هـ) ، تح : سمير مصطفى رباب، دار إحياء التراث العربيّ ، بيروت ــ لبنان ، ١٤٣١هـ ــ ٢٠١٠م .

١٠. التّفسير البيانيّ ، عائشة عبد الرحمن المعروفة ببنت الشاطئ ، طبعة دار المعارف ، ط٥ ، ١٩٧٧م .

١١. حاشية الخضري على شرح ابن عقيل ، الشيخ محمد الخضري (ت ١٢٨٧هـ) ، تح : تركي فرحان المصطفى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ط١ ، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م .

١٢. الخصائص ، أبو الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢هـ) ، تح : محمد علي النجار ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ط٤ ، ١٩٩٠هـ .

١٣. دلائل الإعجاز ، عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١ هـ) ، تح : محمد عبده ، تصحيح محمد رشيد رضا ، دار المعرفة ، بيروت ـ لبنان ، ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨ م

١٤. الدلالة الزمنية في الجملة العربية في القرآن الكريم ، د. نافع علوان بهلول الجبوري ، ديوان الوقف السني (مركز البحوث والدراسات الإسلامية) ط١ ، ١٤٣٠هـ ـ ٢٠٠٩م .

١٥. الرد على النحاة ، ابن مضاء القرطبي ، تح : شوقي ضيف ، دار المعارف ، ط٢ ، ١٩٨٢م.

١٦. شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ، بهاء الدين عبد الله بن عقيل (ت ٧٦٩ه) ، تح : محمد محيي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م .

١٧. شرح الرضي على الكافية ، رضي الدين محمد بن الحسن الاستراباذي (ت٦٨٨ هـ) ، تح: يوسف حسن عمر ، مؤسسة الصادق ، طهران ، ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م .

١٨. شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب ، أبو محمد عبدالله جمال الدين بن هشام الأنصاريّ (ت ٧٦١ه) ، تح : محمد محي الدين عبدالحميد ، دار الطلائع ، القاهرة ، ٢٠٠٤م .

١٩. شرح المفصل، موفق الدين يعيش بن علي بن يعيش (ت٦٤٣هـ) ، تح : أحمد السيد وإسماعيل عبد الجواد ، المكتبة التوفيقية ، القاهرة ، (د.ت).

٢٠. الصاحبيّ في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها ، أحمد بن فارس (ت٣٩٥هـ) ، تح : مصطفى الشويميّ ، مؤسسة بدران ، بيروت ، ١٩٦٣ هـ .

٢١. علم لغة النّصّ المفاهيم والاتّجاهات ، د. سعيد حسن بحيري ، الشَّركة المِصْريّة ـ لونجمان ، ط١ ، ١٩٩٧م .

٢٢. العين ، الخليل بن أحمد الفراهيديّ (ت ١٧٥ هـ) ، تح : د. مهدي المخزومي ، و د. إبراهيم السامرائي ، مؤسّسة ميلاد ، قم ، ط١ ، ١٤١٤هـ .

٢٣. قضايا نحوية ، مهدي المخزومي ، المجمع الثقافي ، (د . ت) .

٢٤. الكامل في اللغة والأدب ، أبو العباس محمد بن يزيد المبرد (ت ٢٨٥ه) ، مكتبة المعارف ، بيروت ـ لبنان ، (د.ت).

٢٥. كتاب سيبويه ، أبو بشر عمرو بن عثمان (ت ١٨٠هـ) ، تح : عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط٣ ، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨ م .

٢٦. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، أبو القاسم بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨هـ) ، تح : عبد الرزاق المهدي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط١ ١٤٢٤ هـ ٢٠٠٣ م .

٢٧. كشف المشكل في النحو ، علي بن سليمان الملقب بـ(حيدرة اليمني) (ت ٥٩٩هـ) ، تح : د. يحيى مراد ، دار إحياء الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٤ م.

٢٨. لسان العرب ، ابن منظور جمال الدين محمد بن مكرم (ت٧١١هـ) ، مصورة من بولاق ، الدار المصرية ، (د.ت) .

٢٩. مباحث في التفسير الموضوعيّ ، د. مصطفى مسلم ، دار القلم ـ دمشق ، ط٤ ، ١٤٢٦ه ـ ٢٠٠٥م .

٣٠. المدخل إلى علم الألسنيّة الحديث ، د. جرجس ميشال جرجس ، المُؤَسَّسَة الحديثة للكتاب ـ لُبْنان ، (د . ت) .

٣١. المطول (شرح تلخيص مفتاح العلوم) ، العلامة سعد الدين مسعود بن عمر التفتازانيّ (ت ٧٩٢ هـ) ، تح : د. عبد الحميد هنداويّ ، دار الكتب العلميّة ، بيروت ، ط١ ، ١٤٢٤ هـ.

٣٢. معاني القرآن، الأخفش الأوسط سعيد بن مسعدة (ت ٢١٥ هـ)، تح إبراهيم شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ن ط١ ، ١٤٢٣ هـ .

٣٣. معاني القرآن ، أبو زكريا يحيى بن زياد الفرّاء (ت٢٠٧ه) ، تح: الأستاذ محمد بن علي النجّار ، أحمد يوسف بخاتي ، الهيئة المصريّة العامة لكتاب ، ط٢ ، ١٩٨٠م .

٣٤. معترك الأقران في إعجاز القرآن ، السيوطيّ ، تح : احمد شمس الدين ، دار الكتب العلميّة ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٨م .

٣٥. مفتاح العلوم ، أبو يعقوب يوسف بن محمد السكاكيّ (ت ٦٢٦هـ) ، تح : د. عبد الحميد الهنداويّ ، دار الكتب العلميّة ، بيروت ـ لبنان ، ط١ ، ١٤٢٠هـ ـ ٢٠٠٠م .

٣٦. مفتاح الوصول إلى علم الأصول ، أحمد كاظم البهادليّ ، شركة حسام للطباعة الفنيّة ، بغداد ، ط١ ، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤ م .

٣٧. المقاييس في اللغة ، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريّا (ت ٣٩٥هـ) ، تح : شهاب الدين أبو عمرو ، دار الفكر ، بيروت ـ لبنان ، (د.ت) .

٣٨. المقتصد في شرح الإيضاح عبد القاهر الجرجاني، تح: د كاظم بحر المرجان، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، ١٩٨٢

٣٩. من آيات الإعجاز العلمي (الحيوان) في القرآن الكريم، د. زغلول راغب محمد النجار، دار المعرفة ، بيروت ـــ لبنان ، ط١ ، ١٤٢٧ هـ ـــ ٢٠٠٦ م

٤٠. منة المنان في الدفاع عن القرآن ، السيد محمد محمد صادق الصدر ، دار الأضواء ، بيروت ، ط١ ، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢ م .

٤١. الميزان في تفسير القرآن ، السيد محمد حسين الطباطبائيّ ، مؤسسة الأعلميّ للمطبوعات ، بيروت ـ لبنان ، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧ م .

٤٢. نهج البلاغة ، ضبط : د. صبحي صالح ، مركز البحوث الإسلاميّة ، قم ، ١٣٩٥ه .

الرسائل والأطاريح

ـ التقييد في نهج البلاغة ـ دراسة نحويّة ـ ، عباس إسماعيل سيلان ، (رسالة ماجستير) ، الجامعة المستنصرية، كلية التربية ، ٢٠٠٦م .